# تفسير ابن كثير

يقول تعالى : أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الاخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصري حدثني خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [ ألهاكم التكاثر ـ عن الطاعة ـ حتى زرتم المقابر ـ حتى يأتيكم الموت ] وقال الحسن البصري { ألهاكم التكاثر } في الأموال والأولاد وفي صحيح البخاري في الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت { ألهاكم التكاثر } يعني لو كان لابن آدم واد من ذهب وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد ا بن الشخير عن أبيه قال : انتهيت إلى رسول ا صلى ا عليه وسلّم وهو يقول : [ { ألهاكم التكاثر } يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ ] ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به وقال مسلم في صحيحه : حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فاقتنى وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس ] تفرد به مسلم .

وقال البخاري : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عبد ا بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله ] وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى ا عليه وسلّم قال : [ يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص والأمل ] أخرجاه في الصحيحين وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس واسمه الضحاك أنه رأى في يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل : لي فقال : إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر : .

( أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقته فالمال لك ) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة قال صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة في قوله : { ألهاكم التكاثر } قال : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار في بني

حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الاخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الاخرون مثل ذلك فأنزل ا { ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر } لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل وقال قتادة : { ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر } كانوا يقولون : نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم وا ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم والصحيح أن المراد بقوله : زرتم المقابر أي صرتم إليها ودفنتم فيها كما جاء في الصحيح [ أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم دخل على رجل من الأعراب يعوده فقال : لابأس طهور إن شاء ا فقال : قلت طهور بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال : فنعم إذن ] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني أخبرنا حكام بن سالم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج عن المنهال عن زر بن حبيش عن علي قال : ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت { ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر } ورواه الترمذي عن أبي كريب عن حكام بن سالم به وقال غريب وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا سلمة بن داود العرضي حدثنا أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران قال : كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ { ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر } فلبث هنيهة ثم قال : يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله وقال أبو محمد : يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو هذه الاية : حتى زرتم المقابر فقال بعث اليوم ورب الكعبة أي إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره .

وقوله تعالى : { كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون } قال الحسن البصري هذا و عيد وقال الضحاك : { كلا سوف تعلمون } يعني أيها الكفار { ثم كلا سوف تعلمون } يعني أيها المؤمنون وقوله تعالى : { كلا لو تعلمون علم اليقين } أي لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الاخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال : { لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين } هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله : { كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون } توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التي إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبي مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال على ما جاء به الأثر المروي في ذلك وقوله تعالى : { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } أي ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم ا به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقري حدثنا عبد

ا بن عيسى أبو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : [ خرج رسول ا صلى ا عليه وسلّم عند الظهيرة فوجد أبا بكر في المسجد فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : أخرجني الذي أخرجك يا رسول صلى ا عليه وسلّم قال : وجاء عمر بن الخطاب فقال : ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ قال أخرجني الذي أخرجكما قال : فقعد عمر وأقبل رسول ا صلى ا عليه وسلّم يحدثهما ثم قال : هل بكما من قوة تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا ؟ قلنا : نعم قال : مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري قال : فتقدم رسول ا صلى ا عليه وسلّم بين أيدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات و أم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيدها رسول ا صلى ا عليه وسلّم من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت : يا رسول ا قد وا سمعت تسليمك ولكن أردت أن تزيدني من سلامك فقال لها رسول ا صلى ا عليه وسلّم : خيرا ثم قال : أين أبو الهيثم لا أراه ؟ قالت : يا رسول ا هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء ا فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلّم : حسبك يا أبا الهيثم فقال : يا رسول ا تأكلون من بسره ومن رطبه ومن تذنوبه ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : هذا من النعيم الذي تسألون عنه ] هذا غريب من هذا الوجه .

وقال ابن جرير : حدثني الحسين بن علي الصدائي حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة Bه قال : [ بينما أبو بكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبي قال الجوع إلا بيوتنا من أخرجنا ما بالحق بعثك والذي : قالا ؟ ههنا أجلسكما ما : فقال A : والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي A : أين فلان ؟ فقالت : ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال : مرحبا ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارني اليوم فعلق قربته بقرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق فقال النبي A : ألا كنت اجتنيت ؟ فقال : أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبي A : إياك والحلوب فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبي A لتسألن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعيم ] ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث المحاربي عن يحيى بن عبيد ا عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة Bه بنحو من هذا السياق وهذه القصة .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج حدثنا حشرج عن أبي نضرة عن أبي عسيب يعني مولى رسول

ا A قال : [ خرج رسول ا A ليلا فمر بي فدعاني فخرجت إليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط : أطعمنا بسرا فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول ا A وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال : لتسألن عن هذا يوم القيامة قال : فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول ا A ثم قال : يا رسول ا إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم إلا من ثلاثة : خرقة لف بها الرجل عورته أو كسرة سد بها جوعته أو جحر يدخل فيه من الحر والقر ] تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد ا يقول : [ أكل رسول ا A وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول ا A : هذا من النعيم الذي تسألون عنه ] ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به وقال الإمام أحمد : حدثنا أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال : لما نزلت { ألهاكم التكاثر } فقرأ حتى بلغ { لتسألن يومئذ عن النعيم } قالوا : [ يا رسول ا عن أي نعيم نسأل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أي نعيم نسأل ؟ قال : أما إن ذلك سيكون ] .

وقال أحمد : حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد ا بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد ا بن حبيب عن أبيه عن عمه قال [ كنا في مجلس فطلع علينا لنبي A وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يا رسول ا نراك طيب النفس قال : أجل ثم خاض الناس في ذكر الغنى فقال رسول ا A : لابأس بالغنى لمن اتقى ا والصحة لمن اتقى ا خير من الغنى وطيب النفس من النعيم ] ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد ا بن سليمان به وقال الترمذي : حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد ا بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب الأشعري قال : سمعت أبا هريرة Bه يقول : [ قال النبي A : إن أول ما يسأل عنه ـ يعني يوم القيامة ـ العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونروك من الماء البارد ؟ ] تفرد به ا لترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد ا بن العلاء بن زبير به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد ا بن الزبير قال : قال الزبير : [ لما نزلت { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قالوا يا رسول ا لأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال : إن ذلك سيكون ] وقد رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذي حسن وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد ا الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما نزلت هذه الاية { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال الصحابة : [ يا رسول ا وأي نعيم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير

؟ ] فأوحى ا إلى نبيه A قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي A في قوله : [ { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال الأمن والصحة ] وقال زيد بن أسلم [ عن رسول ا A { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ] ورواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة وقال سعيد بن جبير : حتى عن شربة عسل وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا وقال الحسن البصري : من النعيم الغداء والعشاء وقال أبو قلابة من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل ا العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى : { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا } .

وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد ا بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : [ قال رسول ا A : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ ] ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي ين الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : [ قال رسول ا A : ما فوق الإزار وظل الحائط والخبز يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسأل عنه ] ثم قال : لا نعرفه إلا بهذا الإسناد وقال الإمام أحمد : حدثنا بهز وعفان قالا : حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحاق بن عبد ا عن أبي صالح عن أبي هريرة Bه عن النبي A قال : [ يقول ا D ـ قال عفان يوم القيامة ـ يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ ] تفرد به من هذا الوجه آخر تفسير سورة التكاثر و الحمد والمنة